قوائم المحتويات متاحة على ASJP المنصة الجزائرية للمجلات العلمية
الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية
الصفحة الرئيسية للمجلة: www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/552

انحلال عصبية المرابطين الدينية ـ العوامل والمظاهر ـ وأثرها في زوال دولتهم

The Dissolution of the Religious Almoravids Religious - Factors and Appearances - and their effects on the Demise of their Statec

الشيخ عدة [1] *
[1] جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف – الجزائر

Key words:

The Almoravids

Religious advocacy

Abdullah bin Yasin

Islamic Maghreb

Andalus.

Abstract

This research analyzes the study of the topic of the disservice of the religious Almoravids, and its effect on the weakness and collapse of their state, by examining the causes and factors of this weakness and decadence, the most prominent of which is the weakness of the country's high leadership after the death of Prince Yusuf bin Tasfin and his son Ali bin Yusuf assuming power as his successor, who knew Religion and indulgence with the troublemakers and problems within the state, the control of the jurists over the affairs of the state, freezing them at the branches and leaving them to the origins, and the multiplicity of fronts against the

Almoravids, the Christians in the north, the revolutions of the judges and Sufis in Andalusia, the increasing strikes of the Almohads in the countries of Morocco, and also referring to areas and aspects a In which this decadence and weakness was manifested, among which is the increase in the influence and control of the royal jurists in the Almoravid state, the influence of the Almoravids on the Andalusians and their indulgence in a life of luxury and bliss, the spread of corruption and the decomposition of morals, the inability to carry out the defense of Andalusia, and the participation of the Almoravid women in various fields (governance, literature and science This research aims to emphasize the role of nervousness and religious calls in the establishment of the king and the states in the medieval Islamic period, as well as its role in its collapse and its fall when weak and analyzed in favor of other invitations and nervousness against them, perhaps one of the most prominent results reached through this study is that the weakness and dissolution of the Almoravids' nerves led to opening the way for the emergence and growth of another religious and nervous call at its expense, namely the call of the Almohads led by Abd God Ibn Tumart, who knew how to take advantage of the weakness of the Almoravid call and their mistakes, and publish his call through which he was able to establish the Almohads state at the expense of the Almoravid state.

* Corresponding author at: Hassiba Ben Bouali University of Chlef, ALGERIA
Email : echchikh@gmail.com

معلومات المقال
تاريخ المقال:
الإرسال: 2019/12/31
القبول: 2020/02/03

الكلمات المفتاحية:
المرابطين،
الدعوة الدينية،
عبد الله بن ياسين،
المغرب الاسلامي،
الأندلس.

ملخص

يتناول هذا البحث بالتحليل، دراسة موضوع انحلال عصبية المرابطين الدينية، وأثرها في ضعف وانهيار دولتهم، وذلك بالتطرق الى أسباب وعوامل هذا الضعف والإنحلال، والتي من أبرزها، ضعف القيادة العليا للبلاد بعد وفاة الأمير يوسف بن تاشفين وتولي ابنه علي بن يوسف الحكم خلفاً له، والذي عرف بتدينه وتساهله مع مثيري الفتن والمشاكل داخل الدولة، وسيطرة الفقهاء على شؤون الدولة، وتجمدهم عند الفروع وتركهم للأصول، وتعدد الجبهات ضد المرابطين، النصارى في الشمال، وثوارات القضاة والمتصوفة بالأندلس، وازدياد ضربات الموحدين ببلاد المغرب، والاشارة كذلك الى المجالات والجوانب التي تجلى فيها هذا الإنحلال والضعف، والتي منها ازدياد نفوذ وتحكم الفقهاء المالكيين في الدولة المرابطية، وتأثر المرابطين بالأندلسيين وانغماسهم في حياة الترف والنعيم، وانتشار الفساد وتحلل الأخلاق، والعجز عن القيام بالدفاع عن الأندلس، ومشاركة المرأة المرابطية في مختلف المجالات(الحكم والأدب والعلم)، ويهدف هذا البحث الى التأكيد على دور العصبيات والدعوات الدينية في تأسيس الملك والدول في الفترة الإسلامية الوسيطة، ودورها كذلك في انهيارها وسقوطها عند ضعفها وتحللها لصالح دعوات وعصبيات أخرى مضادة لها، ولعل من أبرز النتائج التي تم التوصل اليها من خلال هذه الدراسة، هي أن ضعف وانحلال عصبية المرابطين، أدى الى فتح المجال أمام ظهور ونمو دعوة دينية وعصبية أخرى على حسابها، ألا وهي دعوة الموحدين بقيادة عبد الله بن تومرت، الذي عرف كيف يستغل ضعف دعوة المرابطين وأخطائهم، وينشر دعوته التي تمكن من خلالها من تأسيس دولة الموحدين على حساب دولة المرابطين.

1ـ مقدمة

مثلما هو معروف تاريخياً، فإن البدايات الأولى لتأسيس دولة المرابطين، تعود الى ذلك التحالف القبلي المقام بين فروع قبيلة صنهاجة الكبرى(جدالة، لمتونة، مسوفة)، والتفافها حول دعوة الفقيه عبد الله بن ياسين خلال القرن(5هـ/6م)، الذي تمكنت بفضله من أن تنشأ كيان سياسي قوي وممتد، كان له الأثر البالغ في تاريخ المغرب الإسلامي ككل.

ليكون المرابطون بذلك، هم أول من أقام دولة ذات نفوذ وقوة وإتساع سلطان بالمغرب الإسلامي، على شاكلة الدول المستقلة زمن الدولتين الأموية والعباسية،كالدولة الأموية بالأندلس(138-422هـ/ 756-1031م)، والدولة الفاطمية ببلاد المغرب ومصر(296-567هـ/909-1171م)،والسلجوقية بأواسط آسيا(429-590هـ /1037-1193م) وغيرها. وهم الذين أقاموا دولتهم على قواعد اسلامية صرفة من حيث البناء والأساس، فكانت بذلك دولتهم في مجموعها ذات نظام سياسي وديني محض، يرمي الى تعميق الأمن والإستقرار والتماسك، والوحدة السياسية والمذهبية في بلادهم كلها.

فعلى الرغم مما تحمله المرابطون وتجشموه من عبء وعناء من أجل إرساء قواعد الإسلام السُنِّي الصحيح في البلاد التي إمتد إليها سلطان دولتهم، من مواجهتهم للقبائل الصحراوية والمغربية المنحرفة عن دعوتهم، وكذلك التصدي للحملة المسيحية الصليبية على الأقاليم الإسلامية في الأندلس، وما كلفهم ذلك من جهد ودماء، وبالرغم مما واجههم به الأندلسيون من خيانة؛ فقد ظلَّ المرابطون في الميدان صامدين ظاهرين على عدوهم، قائمين بأمر رعاياهم أحسن قيام حتى وفاة آخر أمرائهم تاشفين بن علي سنة(539هـ/1144م) وهو يحارب الموحدين الذين حاصروه وقتلوه في وهران.

ليكون ذلك إيذاناً على نهاية هذه الدولة التي أعطت الكثير وأخذت القليل، إلا أن وزنهم في التاريخ الإسلامي كان بالغ الأهمية وسيبقى كذلك؛ كون أنَّ ما قامت به هذه الدولة القائمة على مبدأ الدعوة والجهاد، والتي لم يدم تاريخها أكثر من القرن إلا قليلاً من الأعمال، يجعلها بحق في طليعة دول الإسلام ضخامة عمل وبعد أثر. **فما هي اذن أهم أسباب وعوامل انحلال عصبية المرابطين الدينية؟ وفيما تتجلى مجالات ومظاهر هذا الإنحلال؟ وأين يبرز أثر ذلك في زوال وأفول نجم دولتهم؟**

للإجابة على الإشكالية المطروحة، قمنا بصياغة مجموعة من الفرضيات التي تتركز أهمها، حول التأكيد على دور العوامل الخارجية في ضعف قوة المرابطين وتحلل عصبيتهم، والتي أهمها، تعدد الثورات والجبهات ضد المرابطين، وخيانة الكثير من ملوك الطوائف لهم في الأندلس، وتحالف النصارى ضدهم هناك في الشمال، والضربات الموجهة من طرف الموحدين لظهرهم في بلاد المغرب في الجنوب، والعوامل الداخلية المتمثلة أساسًا في ضعف الأمراء الذي خلفوا الأمير يوسف بن تاشفين، وتزمت الفقهاء وتمسكهم بالفروع المالكية على حساب الأصول، وانعماس المرابطين في حياة الترف والنعيم، وتدخل النساء في الحكم وغيرها. وكذا ذكر وتوضيح لمظاهر ومجلات ذلك التحلل والضعف، وأثره البالغ في زوال دولتهم لصالح دعوة الموحدين بقيادة المهدي بن تومرت، ودولتهم فيما بعد.

كما قد اعتمدنا في انجاز هذا البحث على المنهج التاريخي السردي لتطورات بعض أحداث الدعوة والدولة المرابطية، المدعم بالمنهج الوصفي التحليلي، في شرح الأسباب والعوامل المؤدية الى انحلال وضعف عصبية المرابطين الدينية، والمجالات التي ظهر فيها ضعفهم، وكيف تمكن داعية الموحدين- عبد الله بن تومرت- بدهائه من الإستثمار في أخطائهم، وحشد العوام والأتباع ضدهم، والإنتصار عليهم، وتأسيس دولة الموحدين

على حساب دولتهم.

أما أهداف هذا البحث فإنها ترمي، الى الكشف عن دور الدعوات الدينية والعصبيات القبلية في تأسيس الدول والكيانات السياسية عبر التاريخ، وخاصة في فترة الوسيطة بالمغرب الإسلامي، ثم دورها فيما بعد في اضعافها وتحللها كذلك، حال ظهور دعوات وعصبيات مضادة لها، تمكن من خلالها بعض القادة والدعاة، من حشد الأتباع وكسب الأنصار، بالتركيز على معارضة السلطات القائمة حين زمانهم وثغراتها وأخطائها، والعمل على تشويه صورتها وتوظيف ذلك في الثورة عليها، والاطاحة بها، وتأسيس كيانات ودولاً لصالحم على حسابها، كما هو الشأن بالنسبة لداعية الموحدين عبد الله بن تومرت، الذي عرف كيف يضعف ويكسر قوة وعصبية المرابطين، ويعلي ويقوي من عصبية الموحدين، ويؤسس دولة لهم على حساب دولتهم.

1ـ انحلال عصبية المرابطين الدينية(الأسباب والعوامل)

انحصرت أسباب تدهور أحوال المرابطين والثورة عليهم كما ذكرها صاحب المعجب في غلظة يوسف بن تاشفين وجهله، ولين علي بن يوسف وعجزه عن القيام بشؤون الدولة، وفظاظة جند المرابطين وجفاء مظهرهم وتراميهم على خيرات الأندلس، وغلبة النِّساء على أمور الدولة، وتسَّلط الفقهاء على مقاليد الأمور، مما تسبب في ضياع أمرهم وذهاب سلطتهم[1]. وفيما يلي تفصيل لأهم أسباب تحلل وأفول عصبية المرابطين:

1ـ1 ـ الأسباب والعوامل

أ ـ ضعف القيادة العليا للبلاد بعد وفاة المؤسس الفعلي الأمير يوسف بن تاشفين

بدأت ملاحم الضعف تظهر على الحكام المرابطين مباشرةً بعد وفاة الأمير يوسف بن تاشفين وتولي ابنه علي حكم البلاد خلفاً له، مما تسبب في دفع الكثير من أمراء الأقاليم إلى الإستبداد، وقد عبر المراكشي عن ذلك بقوله:« وإختلت حال أمير المسلمين رحمة الله بعد الخمس مائة اختلالاً شديداً، فظهرت في بلاده مناكر كثيرة وذلك لإستيلاء أكابر المرابطين على البلاد ودعواهم الاستبداد، وانتهوا في ذلك إلى التصريح فصار كل منهم يصرح بأنه خيرٌ من علي أمير المسلمين وأحق بالأمر منه »[2]. وربما ساعدهم على ذلك انصراف الأمير علي إلى العبادة والزهد. وقد وصف المراكشي علي بن يوسف بتغافله عن أحوال الرعية وعكوفه على العبادة قائلاً:« قنع باسم إمرة المسلمين وبما رجع إليه من الخراج، وعكَّف على التعبد والتبتل فكان يقوم اللَّيل ويصوم النهار مشتهراً عنه ذلك، وأهمل أمور الرعية غاية الإهمال، فاختَّل لذلك عليه كثيرٌ من بلاد الأندلس وكادت تعود إلى حالها الأول لاسيما منذ أن قامت دعوة ابن تومرت بالسوس»[3].

تجدر الإشارة هنا إلى مناقضة المراكشي لكلامه في علي بن يوسف في قوله:« فجرى على سنن أبيه في إيثار الجهاد وإخافة العدو وحماية البلاد، وكان حسن السيرة جيد الطوِّية، نزيه النفس بعيداً عن الظلم،كان إلى أن يعد في الزهاد والمتبتلين أقرب منه إلى أن يعد في الملوك والمتغلبين، واشتدَّ إيثاره لأهل الفقه والدين؛ وكان لا يقطع أمراً ولا يبت حكومة في صغير من الأمور ولا كبير إلا بمحضر أربعة من الفقهاء»[4]. هي هذه شهادة المراكشي فكيف يتفق هذا الرأي مع رأيه السابق؟.

حيث تبين معظم الرسائل التي بعث بها الأمير علي بن يوسف إلى أمرائه والتي رأينا بعضها، كيفية معالجته لبعض المسائل بالحكمة والتأني، وبعده عن الغلظة والتهديد بالعقاب إلا في حالة تجاوز الأمور لحدودها، ولم يستثني من ذلك حتى أبناءه![5]. ومنها مثلاً تلك الرسالة التي وجهها لإبنه أبي بكر حينما ولاه على قيادة جيوش المرابطين في الأندلس[6] والتي جاء فيها:« وخاطبنا عمالك بالسمع منك والطاعة لك، وأن يطابق كل واحدٍ رأيك ويوافق عملك»[7]. والرسائل التي وجهها للقضاة والولاة يحثهم فيها على الإلتزام في الإفتاء بمذهب الإمام مالك (رضي الله عنه)، والرفق بالرعية وتفقد أحوالهم...وغيرها من الرسائل.

كما واصل الأمير تاشفين بن علي العمل بنفس أوامر أبيه، وسار على نهجه في مراسلة القضاة والولاة وكرَّر أوامر أبيه وجده يوسف إليهم، وكان هدف المرابطين من ذلك هو توخي العدالة والإنصاف بين الرعية عن طريق القضاة والعمال لأنهم أكثر احتكاكاً بالناس لطبيعة عملهم[8]. ومما زاد مركز القيادة ضعفاً هو ذلك الخلاف الخطير الذي حدث بين إبراهيم بن تاشفين وعمه إسحاق بن علي حول السلطة في البلاد والموحدون يزحفون نحو عاصمتهم، مما أضعف مركز المرابطين وعجل بانتصار الموحدين عليهم.

ب ـ اضطراب الأمور في بلاد الأندلس

بعد وفاة الأمير علي بن يوسف وتولية ابنه تاشفين الحكم سنة (537هـ/1142م)، بدأت أوضاع الأندلس تشهد نوعاً من الاضطراب خلافاً للإستقرار الذي عاشته عقب انتصار الزلاقة، وإخضاع ملوك الطوائف لحكم المرابطين على يد القائد يوسف بن تاشفين، وقد بدأ هذا الوضع في التجلي مباشرةً في فترة الإنتقال القصيرة هذه؛ بحيث لم تكن هناك قيادة موحدة تعمل على تنسيق العمل وتوجيه الأوامر إلى الجند خاصةً والرعية عامة، مما تسبب في عدم احترام تلك الأوامر والعمل بها، والفساد الأكبر كما عبر عنه ابن الخطيب هو:« أنهم-أي الأمراء-كانوا اليوم يصدرون أمراً وغداً ينسخونه بأمر آخر، فيسخر جندهم ورعاياهم منهم»[9].

فقد كانت الأوامر تصل إلى الجند والرعية متناقضة، وساءت العلاقة بين الحاكم والرعية، ونظر الجند والرعية إلى أميرهم نظرة سخرية واحتقار وازدراء[10]، في الوقت الذي بلغ فيه تنظيم الموحدين وانضباطهم درجةً كبيرة:« إلى حد لو أمر أحدهم بقتل أبيه أو أخيه أو ابنه لفعل»[11]، وهو الأمر الذي أفاد منه الموحدون وعجل بسقوط المرابطين، وتسبب في اضطراب الأمور في الأندلس خاصةً بعد استدعاء الأمير تاشفين

بن علي إلى المغرب، وسحبه لعدد كبير من قوات المرابطين معه للتصدي لمحاولة الموحدين السيطرة عليه وانتزاعه من المرابطين[12].

وقد انتهز النصارى كعادتهم في الأندلس هذه الفرصة، وشرعوا في الإغارة على الأراضي الإسلامية في إسبانيا، وتعددت هزائم المرابطين أمامهم بعد أن توقفت الإمدادات التي كانت تصلهم من المغرب لإنشغالهم بمحاربة الموحدين، مما أدى إلى ضعف المرابطين في الأندلس واستهانة أهلها بهم. وفي هذا الصدد يقول ابن الخطيب:« وكان أعظم ما تأيد به عبد المؤمن على المرابطين، قيام أهل الأندلس عليهم كونهم أخلوها من حماتها وأسلحتها»[13]. كما يقول ابن القطان مؤرخ الموحدين شامتاً:« وكل هذا مهد الله به أمر الموحدين أعزهم الله تعالى»[14].

جـ- تسلط عدد من الفقهاء والقضاة وعمال الأقاليم

لم يكن تسلط الفقهاء جديداً على المغرب والأندلس؛ إذ أن الفقهاء كانوا يتمتعون بمركز ممتاز في عصري الإمارة والخلافة الأموية، فكان أمراء بني أمية يستشيرونهم في شؤون الدنيا والدين، وكانوا يحتلون أرفع مكان[15]، وبما أن المرابطين كانوا قوماً متمسكين بالدِّين، شديدي الإجلال لرجاله، فإنهم رفعوا الفقهاء إلى أعلى المناصب، فأصبح القضاة منهم في بعض النواحي حكام للأقاليم، وأصبح الفقيه المشاور حاكماً مدنياً إلى جانب القائد المرابطي الذي كان حاكماً عسكرياً. ولما جعل المرابطين تولي منصب القضاة من تخصص رجال الدِّين، فقد استعاد الفقهاء والقضاة نفوذهم أثناء فترة حكم المرابطين، وعادوا إلى سابق سلطانهم وسطوتهم.

بل قد ازدادت ثروتهم ونفوذهم، وعوض محاربة البدع والشعوذة ومدعي المهدوية؛ انشغلوا بأمر لا يهم العامة وهو الخلاف حول كتب الغزالي والحديث عنها، وانصرفوا إلى مثل هذه القضايا غير المفيدة، وتركوا الأمور الشركية كالشعوذة والدروشة تنتشر في البلاد، ولم يكونوا إلا نفراً من الطامعين في السلطان والأموال والغنائم، ولم يؤثر عنهم عمل ديني في بلد دخلوه، أو إصلاح قاموا به مجرد السلب والنهب فقط، وتلاشوا من الوجود عند نزول الموحدين[16].

كان ذلك سبباً في ضعف الإدارة المرابطية؛ إذ فتح المجال للرشوة والاغتناء السريع، وشجع صغار الموظفين على الاقتداء بهؤلاء العمال، ونلتمس ذلك من رسالة الأمير علي بن يوسف لأحد قضاته وهي على ما يبدو رداً على رسالة للقاضي يشكو إليه تصرف بعض العمال مما جعله يأمر القاضي بإنهاء أمر أي عامل يثبت عليه أي اتهام إلى أمير الناحية ونصها هو:« وأي عامل من عمال الرعية قامت الشهادة عندك بتعديه، وعلمت صحة استهدافه وتصدِّيه، فإنه أمره إلى صاحب البلد مستعمله ومتوليه». ويطلب من القاضي قبل القيام بهذا الإجراء التحقق من صحة التهمة ومواجهته بالإتهامات والأدلة حتى لا يظلم أيضاً العمال ثم بعدها يعزله، فإذا تحرج من عزله فيجب عليه أن يعجل برفع أمره إلى السلطان نفسه:« وإلا فأخف ذلك إلينا في سائر ما يتوقف لديك من الأمور التي تقصر عنها يدك، وينقطع دون النفوذ فيها غايتك وأمدك لينفذ من عندنا ما يقف منازعك عنده، ويسهل لك كل صعب بعده»[17].

على أية حال؛ فإن هذه الطبقة أو البيوتات الكبيرة منها التي توارثت القضاء عندما أحست بالخطر على مراكزها بانهيار دولة المرابطين، تزعموا مدنهم وأعلنوا الثورة واستقلوا بهذه المدن، وكونوا ما عرف بعصر الطوائف الثاني[18].

د- ازدياد قوة نصارى الشمال بالأندلس

كان لتغير الأوضاع في الممالك النصرانية وتوحد قيادتها وثبات جبهتها حوالي تسعة وعشرين عاماً متتالية بيد ألفونس الأول ملك (أراغون وقشتالة وليون)الملقب بالمحارب[19]، وتفانيه في محاربة المرابطين تفانياً أدى إلى كسر شوكتهم، والقضاء على جاههم في الأندلس برغم من أنه لقي حتفه على أيديهم، وكان مما قام به تلك الغارة الطويلة التي اجتاح فيها الأندلس من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب في مدة سنة وبضعة أشهر[20]، وقوات الأندلس ما بين مرابطية وأندلسية تسير في أثاره أو تحتمي منه بالحصون، ولاشك أن هذه الغارة قد أسقطت من هيبة المرابطين وسلطانهم، وأشعرت الأندلسيين أنه بإمكانهم الوثوب وانتزاع الأمر منهم، واستهانوا بهم وانظموا إلى أعدائهم من النصارى والموحدين بهدف التخلص من حكمهم، وخصوصاً بعد أن اشتَّد الصراع بين المرابطين والموحدين[21].

وحسب ما جاء في كتاب الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، فإن النصارى قد جددوا هجماتهم في الأندلس التي امتدت من ليون إلى جبل طارق، ولما رأى الأندلسيون حكامهم المرابطين لا يتحركون لإنقاذهم من هجمات النصارى طردوهم من بلادهم، وعادت الأندلس إلى سيرتها الأولى كما كانت في عهد ملوك الطوائف، ونشأت في الأندلس مدن مستقلة عن بعضها تخضع للنصارى، ويحارب بعضها بعضاً[22].

هـ- تزمت الفقهاء وتجمدهم عند الفروع وإهمالهم للأصول

كان مما أخذ على المرابطين أنهم بالغوا في الإعتماد على الفقهاء في إدارة شؤون الدولة، باعتبار أن هذه الأخيرة قد قامت منذ البداية على الأصول الفقهية التي رسمها داعيتهم الأول عبد الله بن ياسين، وسير جل أمرائها على ذلك النهج؛ إلا أن اجتهاد هؤلاء الفقهاء قد تجمد عند كتب الإمام مالك، ولم يعودوا يرجعون إلى الأصول يستنبطون منها الأحكام، واكتفوا بتلك الأحاديث المجموعة عن كتب الفروع المرتبطة بمذهب الإمام مالك رحمه الله، وجعلوا منها مرجعهم الوحيد، وفي هذا الشأن قال المراكشي:« فنفقت في ذلك الزمان كتب المذهب وعمل بمقتضاها ونُبذ ما سواها، وكثر ذلك حتى نسي النظر في كتاب الله وحديث رسول الله(ﷺ)، وقرر الفقهاء عند أمير المسلمين تقبيح علم الكلام، وكراهة السلف له»[23].

فقد كان الأمير علي بن يوسف يكتب من الحين إلى الآخر إلى

البلاد بالتشديد في نبذ الخوض في شيء من علم الكلام، وتوعد كل من وجد عنده شيء من كتب علم الكلام، حتى أنه أمر بإحراق كتب الإمام أبو حامد الغزالي عندما دخلت إلى المغرب والأندلس من المشرق بإيعاز طبعاً من الفقهاء، وتقدم بالوعيد الشديد بعد سفك الدم ومصادرة المال لمن وجد عنده شيءٌ منها، وقد اشتد في تنفيذ ذلك[24]. ولكن يجب أخذ هذا القول بحذر؛ لأنه قد وجد نقيض هذا الكلام في نوازل القاضي ابن رشد (مخطوط رقم1072بالمكتبة الأهلية بباريس)[25] سؤال الأمير علي بن يوسف للقاضي أبي الوليد ابن رشد: ما يقول الفقيه أبو الوليد في الشيخ أبي الحسن الأشعري، وأبي الحسن الأسفراني، وأبي بكر الباقلاني، وأبي الوليد الباجي ونظرائهم ممن ينتحل علم الكلام ويتكلم في أصول الديانات، فأجابه ابن رشد:« هم أئمة خير، وممن يجب الاقتداء بهم...». وهذا يدل على أنه كان في هذه المرحلة حركة نشيطة لدراسة علم الكلام والخوض فيه عند ظهور داعية الموحدين المهدي بن تومرت[26] الذي راح يناقض مذهب المرابطين وينتقده بكل ما أوتي من قوة[27].

و- سيطرة النساء وتدخلهن في توجيه شؤون الحكم

تعد من أهم الأسباب التي ذكرها المراكشي في تدهور حكم المرابطين، والتي اتخذها المهدي بن تومرت ذريعة لمهاجمتهم؛ حيث يقول:«واستولى النساء على الأحوال وأسندت إليهن الأمور، وصارت كل امرأة من أكابر لمتونة ومسوفة مشتملة على كل مفسد وشرير وقاطع سبيل، وصاحب خمر ومخمور »[28].

لكن وللإشارة فإن هذه الإدعاءات لم ترد إلاَّ في كتاب- المعجب- للمراكشي الذي نشأ وخدم في البلاط الموحدي، مما جعل لهذه الإتهامات أغراض دعائية لصالح الموحدين وداعيتهم ابن تومرت، الذي استطاع بدهائه أن يذكي مثل هذه الإشاعات. فأتى بعض الناس ناحية العقيدة ورمى المرابطين بكل نقيصة، واعتبر انتساب بعض قادة المرابطين لأمهاتهم مثل محمدً بن فاطمة وأخيه عبد الله، ومحمد بن عائشة وغيرهم كثر جرياً على عادة المرابطين نقيصة، ومعنى ذلك حسبه هو غلبة النساء على الأحوال والأمور، ولو كانت النساء المرابطيات غالبات على أمور الدولة والحكم، فكيف غفلت كتب التاريخ والتراجم ودواوين الشعر هذا الأمر؟!؛ بل أنها لم تذكر إلا نساء فاضلات تعد على الأصابع كزينب النفزاوية، وزينب بنت إبراهيم بن تيفلويت[29]وغيرهن. فكيف تمر هذه الأمور على شعراء الهجاء؟! الذين لم يجدوا نقيصةً إلا وألصقوها بالأمراء المرابطين دون تردد، ولكن سماحة المرابطين كانت تغمرهم، وكان العقاب مجرد الإبعاد عن وظيفة الكتابة[30].

ز- استخدام المرابطين لأهل الذمة في بعض أمور المسلمين

بالرغم من أن أمر استخدام النصارى كان شيئاً مألوفاً في الأندلس في عصري الإمارة والخلافة وعصر الطوائف، فإن استخدام المرابطين لفرقة من النصارى ضمن جندهم كان سبباً في ثورة أهل الأندلس عليهم، وذلك حسب ما ذكرته- عصمت دندش- نقلاً عن الأستاذ كوديرا[31]، والفرقة التي تكونت كانت من بعض النصارى الذين غربوا في الأندلس، أو ممن وقعوا في الأسر، وبعد فتوى من القاضي ابن رشد، وقد عهد بقيادتها للربرتير[32] الذي اعتنق الإسلام، وأنهم سكنوا في حي خاص بهم يعيشون فيه حياتهم بحرية، لهم حوانيتهم وحاناتهم وأسواقهم التي يبيعون فيها حوائجهم من بينها الخنازير التي يربونها، ومن الممكن أن ابن تومرت كان يقصدهم بعبارته التي وجهها للقاضي ابن الأسود في مجلس الأمير علي بن يوسف:« فهل بلغك أن الخمر تباع جهارا، وتمشي الخنازير بين الناس، وتأخذ أموال اليتامى، وعدد من ذلك شيء كثير»[33].

ولا يعرف على المرابطين أنهم استخدموا أهل الذمة في الشؤون الأخرى للمسلمين رغم أن هناك من قال ومنهم ابن الخطيب أن الأمير علي بن يوسف:« هو أول من استعمل الروم بالمغرب وأركبهم وقدمهم على جباية المغارم»[34]. ولم يذكر مؤرخو الموحدين ذلك؛ بل بالعكس هناك رسالة مؤرخة سنة(535هـ/1141م) من الأمير تاشفين بن علي تؤكد على عدم استخدام أهل الذمة في شؤون المسلمين يقول فيها: «وكذلك نؤكد عليكم أتَمَّ تأكيد أمر أهل الذمة، ألا يترف أحد منهم في أمور المسلمين لأنه من فساد الدين »[35].

وقد ساهم النصارى المرتزقة في الجيش المرابطي بشكل واضح، وأول دخول لهم فيه كان في عهد الأمير يوسف بن تاشفين عند شرائه لحوالي240 فارساً نصرانياً من الأندلس، وشكل منهم فرقة الحرص الخاص لحمايته، ولاتقاء تمرد القبائل في المغرب، وقد ازداد عددهم بشكل واضح بعد انتصار الزلاقة(479هـ/1086م)،كما أنهم لقوا اهتماماً كبيراً في عهد ابنه الأمير علي بن يوسف(500-537هـ/1107-1142م) الذي خصص لهم مرتبات ومكافآت كبيرة على حساب بقي العناصر المكونة للجيش المرابطي، وهو ما أشار إليه ابن عذاري المراكشي في قوله:« كان علي بن يوسف في آخر أمره امتنع الإعطاء عن أجناده حتى رجع أكثرهم يكرون دوابهم، وهو أول من استعمل الروم وأركبهم في المغرب وجعلهم يحقدون على المسلمين في مغامراتهم ويأخذون منهم في نفقاتهم»[36]. وفي عهد الأمير تاشفين بن علي فقد تمَّ استخدام فرق النصارى بشكل كبير في الجيش، وكان ذلك واضح في أغلب المعارك التي خاضها المرابطين وبخاصةٍ ضد الموحدين[37].

ن- تسامح المرابطين الشديد مع مثيري الفتن والشغب

تهاون الأمراء المرابطين كثيراً في الضرب على أيدي العابثين بأمن الدولة، ولم يعرف عليهم أنهم أمروا بقتل مشاغب إلا في حالات نادرة، وقد كان أقصى عقاب عندهم هو الاعتقال الطويل الأجل فقط، ونلمس هذا التهاون في معاملة أهل غرناطة عندما ثاروا على القائد الكبير مزدلي الذي أفنى حياته في الجهاد، وكان كل ما قام به الأمير علي بن يوسف تجاه المشاغبين من أهل غرناطة هو إصدار كتاب لهم فيه تهديداً خفيفاً يقول فيه:« إذا وصل إليكم خطابنا هذا فاتركوا سابقة الهوى، واسلكوا معه الطريق المثلى، ودعوا التنافس على حطام

الدنيا، وليقبل كل واحدٍ منكم على ما يعنيه، ولا يشتغل بما ينصبه ويعنيه»[38]. ولو كان هذا التشغيب حدث في عهد الموحدين لكان مصير أصحابه بالتأكيد العقاب الشديد[39].

كما كانت معاملة الأمير علي بن يوسف لزعماء الصوفية فيها كثيرٌ من التسامح رغم تورطهم في زعزعة أمن الدولة، ومرد هذا التسامح أساساً إلى طبيعة وسلوك الأمراء المرابطين الذي يميل إلى السلوك الصوفي، فلم تؤخذ حركة المهدي أو حركة المريدين فيما بعد بجدية واهتمام، كما حدث مثلاً لكتب الغزالي، حتى أن الرسائل الكثيرة الصادرة من أمير المسلمين تاشفين بن علي تخلوا من أية إشارة لهذه الحركة؛ وإنما الإلحاح على الإلتزام بالمذهب المالكي في القضاء والفتوى وكل ما يتعلق بالأحكام بين الناس، ومحاربة كتب أبي حامد الغزالي[40].

حـ ـ انتشار التصوف وثورة المريدين والقضاة

أخذ التصوف والزهد ينتشران في البلاد خاصةً في الأندلس، بعد أن عمَّ الفساد في المجتمع وتعرضت البلاد لهجمات النصارى، وتسلط الفقهاء على الناس وفرضوا عليهم مذهبهم وأرائهم، وضعف الحكام المرابطين، واستفحل الفساد بين عمال الدولة وقضاتها، ولجأ الكثير من الناس إلى الانعزال عن الحياة والزهد فيها، وظهرت في الأندلس عدة فرق كان من أشهرها مدرسة المرية التي تزعمها المتصوف الكبير- أبو العباس بن العريف- الذي امتدت حركته إلى مناطق كثيرة في الأندلس كقرطبة ومرسيه وبلنسيه وغرناطة وغيرها، وأرسل مريديه إلى كل مكان.

وقد تنوعت اتجاهات وأفكار هذه الفرق فمنهم من كان يميل إلى الالتزام بالكتاب والسنة كحركة ابن عريف، ومنهم من كان يميل للباطنية، ومن كان يميل للمذهب الظاهري، وتورط بعض المتطرفين منهم في عدة اغتيالات لأعوان الدولة المرابطية كاغتيال القاضي أبي عبد الله محمد بن الحاج قاضي الجماعة بقرطبة[41]. والإعتداء على أبو بكر بن عربي قاضي الجماعة باشبيلية[42]. وهو الأمر الذي جعل الحكام المرابطين يتخلون عن سياسة المهادنة مع المريدين التي دعا إليها ابن عريف، والتشدد في ملاحقتهم والتصدي لهم، الأمر الذي أحدث انشقاقاً بين صفوفهم[43].

من ناحيةٍ أخرى تصدى الفقهاء لإبن عريف وسفهوا مذهبه وأشاروا على الأمير علي بن يوسف بضرورة الخلاص منه ومن أتباعه، فأمر الأمير بنفيه إلى مراكش ليكون بعيداً عن مريديه لكنه عاد إلى الأندلس وتوفي بها سنة(536هـ/1141م)، وتزعم حركة المريدين من بعده- أحمد بن قسي- الذي كان له توجهاً مغايراً تماماً لسلفه، فألب الناس على المرابطين، ودعا إلى نزع الحكم منهم والثورة ضدهم، مستغلاً الضعف الذي خيَّم عليهم، وتشتت قواتهم وتعدد الجبهات ضدهم، من طرف النصارى في الأندلس والموحدين في المغرب، لتبدأ ثورة المريدين الدينية والسياسية فعلاً ضد المرابطين سنة(539هـ/ 1144م)[44].

فعندما كثر أتباعه أخذ ابن قسي في مهاجمة الحصون المرابطية وطرد الحاميات الموجودة بها، لكن أمير جند المرابطين بقرطبة وهو ابن غانية استطاع أن يتصدى لثورتهم ويلحق بهم هزائم كثيرة، بيد أن ذلك لم يثني من عزيمة ابن قسي الذي تحالف مع الموحدين بحجة أنه يؤمن بالعقائد نفسها التي جاء بها عبد الله بن تومرت، فعينه عبد المؤمن والياً على غرب الأندلس، الأمر الذي ألب عليه أنصاره الذين تحولوا عنه إلى المرابطين[45]. ثم ثار بعدها ما تبقى من أنصاره في شلب بغرب الأندلس ضده، وقتلوه بعدما تحالف مع ألفونس السابع ضد الموحدين، وبذلك تنتهي ثورة المريدين التي كانت تستهدف الخلاص من حكم المرابطين[46]، وكان ذلك في حدود سنة(551هـ/ 1156م)[47].

أما بالنسبة لثورة القضاة فقد استغل العامة في قرطبة ابتعاد القائد المرابطي ابن غانية عن المدينة لمحاربة المريدين وثاروا بقيادة القاضي أبي جعفر بن حمدين، وخلعوا ابن غانية وولوا ابن حمدين عليهم وطردوا المرابطين خارج المدينة، ثم لم يلبث أن ثار الناس بابن حمدين وولوا سيف الدولة بن هود عليهم، والذي كان عميلاً لألفونس ملك قشتالة يحرضه ضد المسلمين، يستخدمه أداة ضدهم وفي إشاعة الفرقة بينهم وانتزاع ما يستطيع من أراضيهم، وكان يعاونه بالمال والجند لبلوغ أهدافه، وسرعان ما قتل ابن هود وتولى ابن مردنيش أمور شرق الأندلس مكانه، وواجه الموحدون مقاومة عنيفة منه، واستمر مسيطرًا على شرق الأندلس حتى عام(567هـ/1171م)، أما زعماء غرب ووسط الأندلس فقد استسلموا للموحدين ودخلوا في طاعتهم[48].

2.1 ـ العوامل المساعدة على تحلل عصبية المرابطين

الى جانب الأسباب السالفة الذكر، كان كذلك وجود عوامل أخرى ساعدت على تحلل عصبية المرابطين ومنها:

أ ـ تخاذل الجند وتخليهم عن روح التقشف والجهاد

وهي السمات التي تربوا عليها وذلك لتأثرهم بحياة الترف الأندلسية، كما أن الحروب المستمرة في جبهة الأندلس استنفذت جزءاً كبيراً من طاقة المرابطين الحربية مما أسهم في هزائمهم المتكررة أمام الموحدين، ويضاف إلى ذلك كثرة الإنفاق الحربي الذي استنزف كثيرًا من المال، وأدى إلى التدهور الاقتصادي الذي عانته البلاد في أواخر أيامها[49].

بـ وقوع الخلاف بين قبائل المرابطين

كانت دولة المرابطين تقوم على ثلاث قبائل كبرى هي أصل أعياصهم هي لمتونة ومسوفة وجدالة، ولذلك عندما وقع الخلاف بين جدالة ولمتونة سنة(454هـ/1062م)، سارع الأمير أبي بكر بن عمر بالعودة إلى الصحراء ليصلح بينهما[50]، وحتى لا يدع لمثل هذه المنازعات المجال مرة أخرى، وجه نشاط هذه القبائل إلى الجهاد في بلاد السودان[51]. وأشارت الباحثة - دندش- لذلك الخلاف بقولها: « وامتد الخلل إلى الصحراء، فانبثقت الحزازات القبلية فيها والتي كان المرابطون قد

أضعفوها، فانتهزت قبائل الملثمين هذه الفرصة إذ رفضت قبيلة مسوفة العمل تحت رئاسة أي من زعماء لمتونة، فكان ذلك التمرد بمثابة كارثة تهدد الدولة المرابطية في الجنوب باعتبار أن مسوفة ولمتونة تشكلان العمود الفقري للجيوش المرابطية، وهو ما يهدد قوة المرابطين حتى في الشمال باعتبار أن الإمدادات بالجند منهما ستتوقف، وانتهزت الفرصة أيضاً قبيلة جداله التي كانت دائمة التمرد منذ بداية حركة المرابطين، فكلما أحست بانشغال المرابطين في جبهة من الجبهات حاولت الانقضاض على القبائل الملثمة الأخرى»[52].

وانتهزت بلاد السودان أيضاً ذلك الخلاف بين القبائل الأساسية في الدولة وأعلنت استقلالها، فاستقلت مملكة غانا وأصبح ملكها يخطب لنفسه تحت طاعة أمير المسلمين العباسي في بغداد[53].

جـ- تداعيات حادثة احراق كتب الإمام الغزالي

تمَّ ذلك في عهد الأمير علي بن تاشفين عملاً بنصيحة وإشارة من الفقهاء يتقدمهم ابن حمدين، وقد استغلها داعية الموحدين عبد الله بن تومرت للنيل من المرابطين والدعاية ضد حكمهم، رافعاً شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويأتي في مقدمتها كتابه احياء علوم الدين، والذي تميز في مضمونه بهجوم لاذع على فقهاء الفروع المالكيين وأصحاب المذاهب، ممن وصفهم الغزالي بطلاب الدنيا وعلماء القشور، ونزوع بارز إلى علوم الباطن[54].

كما أن الحديث عن حادثة إحراق الإحياء، يقودنا للإشارة الى محاولة داعية الموحدين عبد الله بن تومرت إستغلال قضية الإحراق أحسن إستغلال وتوظيفها لصالح دعوته، فهاجم المرابطين والفقهاء رغم أن مسألة إحراق الكتب كان أمراً مألُوفاً في الأندلس على الأقل، فقد أحرقت من قبل كتب ابن حزم الظاهري ومعظم كتب مكتبة الحكم المستنصر، ولم تحدث تلك الضجة التي حدثت مع إحراق كتاب الإحياء، وذلك ما يدُّل على ضلوع ابن تومرت في القضية، وإثارتها وحسن إستغلالها لصالح دعوته ضد المرابطين وفقهائهم وكأنهم أحرقوا كتاباً مقدساً[55]. وفي هذا يقول ابن القطان:« وقد كان إحراق هؤلاء الجهلة لهذا الكتاب العظيم الذي ما أُلِفَ مثله سبباً لزوال ملكهم، وإندثار سلكهم، وإستئصال شأفتهم على يد هذا الأمير العزيز القائم بالحق المظهر بالسُّنَّة المحيي للعلم»[56].

وعلى أية حال؛ فإن الضجة التي إفتعلها ابن تومرت ضد المرابطين بسبب حرق كتب الغزالي كانت مجرد ستار، فهو لم يعمل بآراء الغزالي ولم ينتفع بها؛ بل كان مخالفاً لها على طول الخط، فمبدأ الإجتهاد الذي يعلق عليه الغزالي أهمية كبيرة في إستنباط الأحكام، والذي يتفق عليه أئمة المذاهب السُّنِّية ينكره ابن تومرت كمصدر من مصادر الشريعة، ومعارضته أيضاً لجهود المجتهدين في تجديد الشريعة؛ لأنه يتشح بثوب الإمام المعصوم الذي لا تبحث أراءه ولا تُناقش أحكامه، ونظرية الإمام المعصوم من أكثر ما عارضه عليها الغزالي وسخر منه[57].

د- قوة ودهاء شخصية المهدي بن تومرت

بجانب ذلك كله وجود شخصية ذكية لعبت دورها بدهاء على مسرح الأحداث لاجتذاب أكبر عدد ممكن من الأتباع وهي شخصية عبد الله بن تومرت الذي تجول في العالم الإسلامي، واستغل ذكاءه وعلمه في نشرد دعوته الدينية التي كانت مضادة لمبادئ المرابطين الدينية، واستخدم كل الوسائل الممكنة في التأثير على أتباعه ومريديه، ثم تلك القيادة العسكرية الحكيمة المتمثلة عبد المؤمن بن علي خليفة ابن تومرت في قيادة الموحدين، والذي استخدم مقدرته وذكائه في محاربة المرابطين وعدم توفر ذلك للمرابطين، حيث يذكر ابن الخطيب:«كان الموحدون يسيرون في الجبال المانعة حيث الأرزاق الواسعة، وكان تاشفين ينزل البسائط فلا يجد من البرابرة من يواصله ولا من يستعين به ويداخله، وذلك بسبب الإدبار، وانقطاع الدولة والأنصار»[58]. مع استناد الموحدين في دعوتهم إلى قبائل المصامدة الكثيرة العدد، وقدم عداوتهم للملثمين[59]. وسوف نعود لهذه النقطة عند التطرق لصدام الدعوة المرابطية مع الموحدية.

هـ- تدهور أحوال الزراعة ونقص الأموال

عرفت الزراعة نوعاً من التدهور في أواخر عهد المرابطين مما زاد من حاجة الدولة إلى المال لمدافعة ثورة ابن تومرت والموحدين بالمغرب والنصارى في الأندلس، فرفعت الضرائب على الفلاحين، وتعسف الجباة والخراص[60] في جباية أعشار ثمار الزيتون ومختلف الزروع، مما جعل الكثير من الفلاحين يهملون زراعاتهم ويهجرون ضياعهم، وكثرت الشكايات خصوصاً من أهل الأندلس؛ حتى أن أهل مالقة وأحوازها التي تعتمد على زراعة الكروم والتين ألَّفوا من بينهم وفوداً توجهت بتظلماتها إلى مراكش لعرض الأمر على الأمير علي بن يوسف نفسه، الذي أصدر أوامره إلى القضاة لبحث هذه الشكاوي والتحري عنها والعمل على إزالة أسبابها، من بينها ما جاء في قوله:« وقد تجمعت الآن بهذه الحضرة عصائب الشاكين وكثرت رقائع المتظلمين، فوكلنا ذلك إلى قضاة البلدان، وألزمناهم القيام به، والفحص عنه في الحين»[61].

والذي زاد الطِّين بلة هو تعرض بلاد الأندلس سنين متوالية لغارات الجراد التي أتت على معظم المحاصيل الزراعية وأتلفت الخضروات وغيرها، وقد أعلمنا ابن القطان بتلك السنوات التي فتك فيها الجراد بالحقول الزراعية وهي مابين سنة(535و541هـ/1140 و1146م)[62]. هي ستة سنوات محا فيها الجراد ما على الأرض من زرع وكلأ أضَّر بالبلاد ضرراً جسيماً، وأثر على معاش الناس ودخل الدولة[63]، حتى أصبح هذا المشكل من المشاغل المهمة عند أمراء الدولة المرابطية. ومما زاد في خراب الأرض والديار هو توالي هجمات ألفونس ملك قشتالة وغيره من ملوك النصارى كل على الأراضي المجاورة له، فخربوا القرى وانتسفوا الزروع، وأثخنوا في

الحدائق والحقول والقرى والناس والدواب، وأضرموا النار في المحاصيل[64].

2 ـ مظاهر الإنحلال ومجالاته

بداية من فترة حكم الأمير علي بن يوسف، أخذت عصبية المرابطين الدينية في التحلل والأفول، ومن بين المظاهر الدالة على

ذلك مايلي:

أ. ازدياد نفوذ وتحكم الفقهاء المالكيين في الدولة المرابطية

بما أن المرابطين كانوا قوماً متمسكين بالدِّين ممجدين لرجاله، فقد ظَّل فقهاء المذهب المالكي يحكمون قبضتهم على دواليب السلطة في دولة المرابطين وذلك منذ عهد عبدالله بن ياسين، حتى أن المرابطين كانوا بعد موته لا يبرمون أمراً من أمور دولتهم دون استشارة الفقهاء، ومن أكبر الأدلة على نفوذهم كذلك أن الأمير يوسف بن تاشفين حين همَّ بمساعدة مسلمي الأندلس ضد النصارى، لم يرى بُداً من الرجوع إلى رأي الفقهاء الذين أفتوه بوجوب حرب النصارى، ثم أملوا عليه الكتاب الذي وجهه إلى ألفونس السادس في الأندلس، وكانت هذه الرسالة على نمط الرسائل التي كان يرسلها النبي والخلفاء الراشدين من بعده إلى الملوك، ومما يدُّل أيضاً على نفوذهم ما ذكره المراكشي:« أن علي بن يوسف بن تاشفين كان لا يقطع أمراً دون مشاورة الفقهاء»[65].

كما لا ننسى أن الفقهاء في الأندلس هُم الذين طلبوا من يوسف ابن تاشفين القدوم إلى بلدهم وأفتوه بخلع ملوك الطوائف، وأن علي ابن يوسف لما فكر في تسوير مدينة مراكش سنة(519هـ/1128م) استفتى الفقهاء كذلك، وقد اشترك ابن رشد الأندلسي في مجلس الأمير علي وأفتى بصحة هذه الفتوى، وأفتاه كذلك بابعاد النصارى المعاهدين بغرناطة إلى المغرب لمساعدتهم(ابن روذمير) وغدرهم بالمسلمين، فتَّم ترحيلهم إلى المغرب إلى مكناسة وسلا[66].

عليه قويت سلطة فقهاء المذهب المالكي في عهد المرابطين وخاصةً في بلاد الأندلس؛ إذ لجأ المرابطين إلى استشارة الفقهاء في كل أمور السياسة والحكم الأمر الذي أضعف أداة الحكم لديهم لأن رجال الدين ليسوا هم أهل سياسة، وأدى ذلك بمرور الزمن إلى سخط الأهالي على حكومة المرابطين[67]، وقد نال الفقهاء من ذلك النفوذ مكاسب كبيرة وثروات ضخمة، أثارت حفائظ الشعب تجاههم، وكان من الطبيعي أن ينتهز الفقهاء فترة ضعف دولة المرابطين ويكونون أول المغامرين، ويعلن كل واحد منهم الاستقلال في بلده[68].

على هذا الأساس؛ نلاحظ أن دولة المرابطين لما كانت أساسها ديني وملوكها الثلاثة ذووا زهد وعبادة، فقد قربوا إليهم الفقهاء والعلماء ليمنحوا الدولة الصبغة الدينية التي يؤثرونها، فأرتفع شأن هؤلاء أكثر من ذي قبل، فكان علي بن يوسف:« لا يقطع أمراً في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء، وكان إذا ولى أحداً من قضاته كان فيما يعهد إليه ألا يقطع أمراً، ولا يبت حكومة في صغير من الأمور ولا كبير إلا بحضور أربعة من الفقهاء، فبلغوا في أيامه مبلغاً عظيماً لم يبلغوا مثله في الصدر الأول من فتح الأندلس»[69].

ب. مشاركة المرأة المرابطية في مختلف المجالات(الحكم والأدب والعلم)

لقد أدت المرأة المرابطية على الصعيد السياسي دوراً قلَّ نظيره؛ إذ كان لها ضلع واسع في نشأة الدولة المرابطية، وأكبر دليل على ذلك الدور الذي لعبته زينب النفزاوية زوجة الأمير يوسف بن تاشفين بما كان لها من الحنكة والذكاء[70] جعلها تتفوق حتى على الرجال:« وكانت من أحسن النساء ولها الحكم في بلاده»[71]. فلعبت دور المستشار ليوسف بن تاشفين، وكان كلما واجهته مشكلة لجأ إليها، بل ويعود لها الفضل في تدبير فتح المرابطين للمغرب، فاستقامت له الدولة وترسخت جذورها بفضل حنكتها وذكائها، وهذا ما جعل البعض يشبه دورها بالدور الذي قامت به زوجات النبي(ﷺ) خديجة وعائشة في التمكين للدعوة الإسلامية[72].

تجلى دور المرأة بوضوح في تدخلها في ولاية العهد وعزل الولاة والقضاة وردِّهم إلى مناصبهم؛ بل أن إحداهُنّ قد تزعمت إحدى قبائل مسوفة في منطقة تغاره بالجنوب المغربي، وتشير المصادر أن إحدى المرابطيات وهي-تماكونت ابنة ينتيان بن عمر- تمكنت من إقناع عبد المومن بن علي عندما اجتاحت الجيوش الموحدية مراكش من أن يطلق سراحها مع كل النِّساء اللائي كنَّ معها، وقد بلغ عددهنَّ1500. فأمتثل الخليفة الموحدي لطلبها، وأطلق سراحهنَّ مكرمات معززات[73].

ونظراً لما تمتعت به المرأة من دور سياسي فقد تغنى بفضائلها الشعراء، وأنها لم تقل شأناً عن الأمراء في رعاية الشعراء وإجزال العطايا لهم، فأصبحت مقصدًا لذوي الحاجات لشفاعتها، تهب المنح وتعفوا عن المساجين، وترد المنكوبين إلى مناصبهم، ويذكر في هذا الصدد أن الشاعر ابن خفاجة قد كتب إلى الأميرة- مريم بنت أبي بكر بن تيفاويت- قصيدةً يتشفع فيها لزوجها الأمير أبي الطاهر تميم، فنفذت عهده بأجمل وجوه البر والمكرمات[74].

علاوةً على دور المرأة في الحياة السياسية، فإنها قامت بدور هام على المستوى الحربي، تشارك إلى جانب الرجال في المعارك، ومنهنَّ مثالاً زوجة تاشفين بن علي التي خرجت مع زوجها على الفرس نفسه إبان المواجهة الأخيرة مع الموحدين في وهران، وشهد البيذق[75] نفسه رغم عدائه للمرابطين ببسالة- فانو بنت عمر بنت ينتيان- التي قاومت الموحدين في هيئة رجل، واستطاعت أن تنتزع إعجاب قادة الجيش الموحدي،كما لا يقل شأن المرأة في المجال الثقافي إذ أنها تعاطت العلوم والمعرفة بشكل ملفت للانتباه، وساهمت في مجالس العلم وروَّينَّ الحديث، وقرأنَّ على الشيوخ[76].

ونخلص مما سبق أن المرأة المرابطية، قد اضطلعت بمهام كبيرة، وكانت لها أدوار طليعية في شتى المجالات، وهو ما يفسر اعتزاز بعض الرجال بالإنتساب إلى أمهاتهنَّ أمثال ابراهيم بن يوسف بنتاشفين، الذي عرف بابن تعيشت اسم أمه[77]، واشتهر الأمير محمد بن عبد الله بن ينغمر اللمتوني باسم ابن حواء[78]، كما انتسب بعض الولاة والقادة إلى أمهاتهم كذلك مثل والي بلنسية محمد بن فاطمة[79] وأخيه عبد الله بن فاطمة، وعرف أحد ولاة قرطبة باسم ابن جنونة، واشتهر القائد ابن عائشة بقيادة الجيوش المرابطية[80]، والأمثلة كثيرة في ذلك.

جـ- تأثر المرابطين بالأندلسيين وانغماسهم في حياة الترف والنعيم

تعد فترة حكم الأمير علي بن يوسف شاهداً على الصبغة الأندلسية الشديدة في دولة المرابطين بحيث لم تؤثر الأندلس في المغرب من عدة نواحي فحسب؛ وإنما قصد مراكش عدد كبير من الأندلسيين ليقيموا في عاصمة الأمير، وقد أوضح لنا المراكشي ذلك بقوله:« ولم يزل أمير المسلمين من أول إمارته يستدعي[81] أعيان الكتاب من جزيرة الأندلس، وصرف عنايته إلى ذلك حتى اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك»[82].

لا شك أن الأندلسيين كانت لهم كلمة مسموعة عند الأمراء المرابطين، وقد ساهموا بشكل كبير في الإصلاحات التي قاموا بها، وذلك منذ عهد الأمير يوسف بن تاشفين، كما إنهم لم يكونوا بمعزل عن القرار الذي اتخذه الأمير علي بن يوسف بأن يحيط نفسه في مراكش بفرقة من الجند المسيحيين، وبتكليف بعض الضباط منهم بأعمال هامة من بينها جباية الضرائب، فأعتبر بذلك الأمير علي بن يوسف أول من استعمل الروم بالمغرب وأركبهم وقدمهم على جباية الضرائب[83]. ويبدوا أن لنشأة علي بن يوسف الأندلسية تأثيرٌ كبير عليه، فهو لم يكن صحراوياً قُحاً مثل أبوه من قبل ولم يولد في الصحراء، وإنما ولد على ضفاف البحر المتوسط في مدينة سبتة من أم مسيحية من السبَايَا، وتلقى ثقافة أندلسية بحتة منذ نعومة أظفاره[84].

بدأ المرابطون ينغمسون في التمتع بكل مباهج الحضارة الأندلسية فعاشوا أقرب ما يكونون بملوك الطوائف، وتجلى ذلك بوضوح في بناء القصور والْمَنِيَاتْ فضلاً عن التأنق في المأكل والملبس، وكان بناء القصور والْمَنِيَاتْ سواء في المغرب أو الأندلس قد شاع في عهد الأمير علي ابن يوسف بن تاشفين، وليس أدل على ذلك من القصر الذي بناه لنفسه في مدينة اشبيلية وكان ينزل فيه عند زيارته للمدينة، وأقام أمير المسلمين قصراً آخر في مدينة مرسيه، وقد حذا الأمراء حذو الأمير علي بن يوسف فعاشوا في ولاياتهم حياةً مترفةً وتأنقوا في المأكل والملبس وتشييد القصور[85]. وقد أشار الإدريسي إلى كثرة قصور الأمراء والقادة في مراكش حاضرة الدولة بقوله:« وكان بها- أي مراكش- أعداد قصور لكثير من الأمراء والقواد وخدم الدولة»[86].

فعلى الرغم من نشأتهم الدينية في الصحراء وتأثرهم بتعاليم الإمام الفقيه عبد الله بن ياسين،لم يستطع المرابطون مقاومة مباهج الحضارة الأندلسية بكل مظاهرها ومفاتنها، ولا سيما فن الغناء والموسيقى والطرب، وإذا كان ذلك قد ظهر واضحاً في عصر الأمير علي بن يوسف إلى أن البوادر الأولى لذلك كانت في عصر يوسف بن تاشفين نفسه؛ إذ يؤكد الدكتور- حسن أحمد محمود- بأن الأمير يوسف كان يستمع الغناء ويطرب له، فقد أهداه المعتمد بن عباد جارية له حسنة الصوت جيدة الغناء سمع منها وطرب لغنائها[87]. إلا أن عصر علي بن يوسف كان عصر انغماس بمباهج الحضارة الأندلسية، فقد شغُف بمجالس الغناء والطرب وتجلى ذلك في المجلس الذي حضره، والذي قال فيه الوزير أبو محمد عبد الرحمن بن مالك المعافري:

لا تلمني إذا طربت لشجوٍ *** يبعث الأنس فالكريم طروب

ليس شَّقُ الجيوب حقٌ علينا *** إنما الحق أن تُشَّق القلوب[88].

وكانت مجالس الأنس والطرب من الأمور المألوفة في حياة أمراء الأندلس، فقد كانوا يعقدون مجالس الطرب في قصورهم ومَنِيَاتِهم، ويصف ابن خفاجة البلنسي مجلساً من تلك المجالس في بلنسية فيقول:

فكم يوم لهو قد أردنا بأقفه *** نجوم كؤس بين أقمار ندمان وللقضيب والأطيار ملهى يجزعه *** فما شئت من رقص على رجع ألحان[89].

فقد كان انغماس المرابطين في حياة الترف والنعيم إذن، سبباً في فقدان خصائصهم البدوية، وخضعوا للنساء وانغمسوا في الشهوات والملذات، فضعف أمرهم واختلت أحوالهم.

د- انتشار الفساد وتحلل الأخلاق

ما ميز الحياة الاجتماعية في المغرب والأندلس أثناء فترة المرابطين كذلك هو انتشار بعض العادات المحرمة كشرب الخمر، فرغم التحفظ على مزاعم ابن تومرت التي ذكرناها من قبل بسبب معاداته للمرابطين، والتي قال فيها بأن الخمور كانت تباع وتشترى علناً في الأسواق[90]. إلا أن هناك نصوصا أخرى مرابطية تؤكد ذلك، ولكن ليس بالشكل الذي ادعاه ابن تومرت، فقد وردت بعض الرسائل تشير إلى انتشار هذه العادة السيئة، كما تنبه وتطالب ولاة الأمور من التدخل لوضع حدٍلها، فقد كتب الفتح بن خاقان[91] رسالةً إلى أحد القضاة يناشده العمل على الحد من انتشار هذه العادة الذميمة التي عمت المنازل(أصبحت الخمور تصنع في المنازل نتيجة الرقابة ومنع المرابطين المحلات بيعها)،ولم يسلم منها حتى هو نفسه أي-ابن خاقان-، وحسبنا أن القاضي عياض قد أقام عليه الحد حين دخل إلى مجلسه مخموراً[92].

اذ تعكس إحدى الرسائل المرابطية الرسمية الموجهة إلى أهل بلنسية هذه الحقيقة، وقد تضمنت أمراً بقطع مادتها وإراقتها ومنع ذيوعها بين الناس[93]. لكن هذه الأوامر لم تكن من الحزم والشِدة التي تسمح باستئصال شأفة هذه العادة التي أصبحت ترمز عند متعاطيها من الوجهاء إلى الترف والتفسخ الأخلاقي

الذي وصلوا إليه، أما طبقة العامة فلم تفعل ذلك إلا لتغطية المشاكل التي تعترضتها في حياتها، فعندما استفسر القاضي ابن حمدين أحد السكارى الذين ألقى عليهم القبض عن سبب شربه للخمر علناً علل ذلك:« بفساد الزمان ومجافاة الإخوان»[94].

لقد سجلت الروايات عدداً من الحالات ضبط فيها أعوان الشرطة بعض العوام يحملون زجاجات الخمر، فقد عثروا على رجل متلبس ساقوه إلى القاضي أبي بكر بن العربي، فأدعى الرجل أنه يحمل الخمر لخادمة رومية توجد عنده بالمنزل، فاكتفى القاضي بلعنه[95]. ولعل أقصى ما وصلت إليه عقوبة شارب الخمر تمثلت في جلده بعد رجوعه إلى رشده، وهو ما يزكيه قول ابن عبدون:« إنه يجب ألا يجلد سكران حتى يفيق »[96].

كما يضاف إلى عادة شرب الخمر، عادة اجتماعية لا تقل خطورة عنها وهي عشق الغلمان التي انتشرت في أوساط الخاصة دون انكار وجودها في أوساط العامة لكن في حدود ضيقة، مما يعكس أثر الوضع الإجتماعي على العادات والأخلاق، فرغم ما عرف عن عبد الله بن عائشة من ورع وزهد إلا أنه ظَل يعشق فتى ويهواه[97]. وتترد في كتب السير والتراجم عادة عشق الغلمان من طرف أعلام الحقبة المرابطية وفقهائها بكثرة، وقد وصل الحد بأحدهم إلى أنه هوى غلاماً فكان:« لا يتصرف إلا في صفاته ولا يقف إلا بعرفانه، ولا يؤرقه إلا جواه»[98]. ويتبين من إحدى النوازل أن دور الخاصة والأعيان قد اكتظت بهم، وأنهم كانوا يورثون[99].

بجانب ذلك، انتشرت مجالس اللهو والغناء خاصة في الأندلس؛ إذ اشتهرت بعض المدن بكثرة ملاهيها وأماكن الدعارة مثل برشانة وأبذة[100]، وكان يضرب المثل باشبيلية في الخلاعة[101]، مما جعل بعض المحتسبين يحاربون الملاهي[102] لكن محاولاتهم ظَلَّت صيحة في واد؛ لأن بعض الأمراء المرابطين أنفسهم قد شغفوا بمجالس اللَّهو، وحسبنا أن يوسف بن تاشفين رغم تقواه كان يسمع الغناء، وقد أهداه المعتمد بن عباد كما رأيناه جارية حسنة الصوت، جيدة الغناء[103].

أما ابنه علي الذي فتن بمباهج الحضارة الأندلسية وتعلق بمجالس الطرب أحياناً، وأنه كان يقبل على الغزل رغم ورعه وتقواه وطرب له، ومن ذلك أنه أرسل إلى الشاعر ابن خفاجة وزيراً يقول له:(إن السلطان يريد أن تقول شعراً تفتحه بالغزل)، فلبى ابن خفاجة طلبه وكتب قصيدةً في الغزل رفعها إليه[104].

ولم يكن المغرب بمعزل عن هذا المناخ العام فقد أكد البيدق عند حديثه عن الطريق التي سلكها ابن تومرت في طريق عودته إلى مراكش أنه شاهد:« الحوانيت مملوءة دفوفاً وقراقر، ومزامر وعيداناً، وروطاً وأربيه وكيتارات، وجميع آلات اللَّهو»[105]. وهو ما حمل المهدي على تكسيرها وتخريب ما بقي منها رغم ما تحمله هذه الرواية من تعصب[106]وحقد على المرابطين[107]. وفي هذه البيئة الفاسدة التي صاحبت هرم الدولة وتفسخها انتشرت عادات اجتماعية شاذة، كاستشراء الفساد والزنا الذي صار مشكلةً اجتماعية حطت بثقلها على المجتمع وطرحت على الفقهاء، فقد أشارت إحدى النوازل إلى امرأة(حملت من الزنا مرتين وأنها قتلت ما ولدت)[108].

هـ- العجز عن القيام بالدفاع عن الأندلس

كان مما ظهر على المرابطين في آخر أيام علي بن يوسف العجز عن الدفاع عن الأندلس، وكان هذا العجز نتيجة للتضحيات المتوالية التي تحملها المرابطون في الجهاد ضد الممالك المسيحية وفقدهم فيها الكثير من كبار قادتهم[109]، وكان لظهور حركة الموحدين بزعامة ابن تومرت ومهاجمتهم لأملاك المرابطين في المغرب الدور الرئيسي في إضعاف قوة المرابطين وشغلهم على الدفاع عن الأندلس، وعبر ابن أبي زرع عن ذلك بقوله:« وفي سنة(514هـ/1119م) ظهر المهدي الموحد بالمغرب واجتمع في طريقه من المشرق بعبد المؤمن بن علي، وفي سنة(519هـ/1124م) ضعفت الدولة اللمتونية وظهر فيها الخلل، واشتغلوا بحرب المهدي والموحدين القائمين عليهم بجبل درن وعجزوا عن نصرة الأندلس، وضعف أحوالهم واشتغلوا بأنفسهم عنها، وقوى أمر الموحدين، وملكوا بلاد كثيرة من بلاد المغرب حتى ضاقت الأرض على المرابطين»[110].

لا شك أن الأزمة المالية التي اشتدت مع قيام ثورة ابن تومرت قد ضاعفت من الالتزامات العسكرية للدولة، وساعدت على توقف الزراعة وما رافق ذلك من جذب حتى جفت الأرض وقلَّت المجابي، وكثرت الضرائب على الرعايا من العدوتين والتي كانت سبباً في الثورة، فالوسائل التي أتبعت في جمعها كانت سبباً في تذمر الناس وثورتهم[111].

و- انهيار قاعدة الجهاد التي قامت عليها دولة المرابطين

لما كانت دولة المرابطين قائمة على قاعدة الجهاد فقد كانت تكاليف الحرب تأتي على معظم دخل الدولة علاوةً على أن أمراء المرابطين لم يكونوا مثل أمير المسلمين في تعففه عن أموال الناس، ويظهر ذلك مما كتبه ابن عبدون[112]؛ إذ يأسف ويقول:« إن الرئيس العادل الساعي إلى الخير،المرتبط بالناموس أصبح يلتمس، فلا يوجد »[113].

ووصل الأمر إلى استبداد بعض المرابطين في وظائفهم وكان يخشى محاسبتهم، ولذلك نصح ابن عبدون في رسالته أن تكون هناك طبقة من الموظفين منهم صاحب المدينة وصاحب المواريث والقاضي والمحتسب بأن يكونوا من أهل البلاد:« فإنهم أعرف بأمور الناس وطبقاتهم، وهم أيضاً أعدل في الحكم، وأحسن سيرة من غيرهم، وهم أنفع للسلطان وأوثق؛ لأن الرئيس يستحي أن يحاسب في عمله مرابطاً، أو ينكر عليه شيئاً مما قد فشا له عنده في الخطة التي ولاه »[114]. ويبين كلام ابن عبدون مدى النفوذ الذي كان يتمتع به الموظف المرابطي[115].

وهكذا انهارت القاعدة الجهادية التي قامت عليها دولة المرابطين، وابتعدت المسافة بين فئتي الإدارة العليا التي يمثلها

أمير المسلمين الصالح الزاهد علي بن يوسف بن تاشفين وحوله الفقهاء، والفئة الثانية التي يمثلها الولاة إما مستبدون أو ضعاف تتصرف النساء في شؤون ولاياتهم، وكان معنى ذلك أن أية ريح قوية تهب على الدولة فسوف تعصف بها وتقضي عليها.

خاتمة

في ختام هذا البحث، كان بوسعنا الخروج بمجموعة من النتائج والإستنتاجات حول انحلال عصبية المرابطين الدينية، وأثرها في ضعف وانهيار دولتهم ولعل من أبرزها:

لقد تعددت أسباب وعوامل هذا الضعف والإنحلال عند المرابطين، والتي من أبرزها، ضعف القيادة العليا للبلاد بعد وفاة الأمير يوسف ابن تاشفين سنة(500هـ/1107م)، وتولي ابنه علي بن يوسف الحكم خلفاً له، وهو الذي عرف بتدينه وورعه، وتساهله الكبير مع مثيري الفتن والمشاكل داخل الدولة من أمثال المتصوفة والمريدين والقضاة والدعاة المناوئين لحكمهم، وأولهم عبدالله بن تومرت، وسيطرة الفقهاء على شؤون الدولة، وتجمدهم عند الفروع مذهب الإمام مالك وتركهم للأصول، وتعدد الجبهات ضد المرابطين، والمتمثلة في النصارى في الشمال، وثوارات القضاة والمتصوفة بالأندلس، وازدياد ضربات الموحدين ببلاد المغرب.

تتجلى مظاهر هذا الانحلال والضعف في الكثير من المجالات والجوانب والتي منها أهمها، ازدياد نفوذ وتحكم الفقهاء المالكيين في الدولة المرابطية، وتأثر المرابطين بالأندلسيين وانغماسهم في حياة الترف والنعيم، وبداية تخليهم عن صفاتهم العسكرية والجهادية التي تكونوا عليها، وانتشار الفساد وتحلل الأخلاق منها انتشار مجالس الغناء والطرب والرقص، وانتشار الرذائل والخمور، والعجز عن القيام بالدفاع عن الأندلس، ومشاركة المرأة المرابطية في مختلف المجالات(الحكم والأدب والعلم).

من الأشياء التي تجب الإشارة اليها وضرورة التأكيد عليها كذلك، هي دور العصبيات القبلية والدعوات الدينية في إقامة الملك والسلطان، وتأسيس الدول في الفترة الإسلامية الوسيطة، وبالأخص في بلاد المغرب الإسلامي، ودورها كذلك في انهيارها وسقوطها عند ضعفها وتحللها لصالح دعوات وعصبيات أخرى مضادة لها، وهو ما حدث للمرابطين الصنهاجيين مع خصومهم الموحدين المصامدة.

ولعل من أبرز النتائج التي تم التوصل اليها من خلال هذه الدراسة، هي أن ضعف دعوة المرابطين الدينية وانحلال عصبية صنهاجة الملثمين، أدى الى فتح المجال أمام ظهور ونمو دعوة دينية أخرى، بقيادة عصبية قبيلة أخرى على حسابها وهي قبيلة مصمودة، ألا وهي دعوة الموحدين بقيادة عبد الله بن تومرت، الذي عرف كيف يستغل ضعف دعوة المرابطين وأخطائهم، ويستثمر في ثغراتهم وهفواتهم وبالأخص احراقهم لكتب أبو حامد الغزالي وفي مقدمتها كتابه- إحياء علوم الدين-، في نشر دعوته الدينية القائمة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التي تمكن من خلالها من تأسيس دولة الموحدين على حساب دولة المرابطين.

تضارب المصالح

❖ يعلن المؤلف أنه ليس لديه تضارب في المصالح.

الهوامش

(1) عبد الواحد المراكشي،1881، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، مطبعة بريل، ليدن، د(ط)، ص127./ عصمت عبد اللطيف دندش، 1988، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، ط1، ص25.

(2) عبد الواحد المراكشي، المصدر نفسه، ص127.

(3) المصدر نفسه، ص128.

(4) المصدر نفسه، ص122.

(5) لمعرفة ما حدث لإبن علي بن يوسف- عمر يناله- من سجن ومصادرة من طرف أبيه أنظر: ابن عذاري المراكشي، 1983، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، لبنان، دار الثقافة، ط3، ج4، ص75.

(6) عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص31.

(7) محمود علي مكي، وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، 1960.1959. رقم3، ص170. نقلاً عن: عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص31.

(8) المرجع نفسه، ص ص31.28.

(9) لسان الدين بن الخطيب، د(ت)، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تصحيح: البشير الفورتي، تونس، مطبعة التقدم الإسلامية، ط1، ص99.

(10) عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، 1990، تاريخ المغرب والأندلس، القاهرة، مصر، المطبعة التجارية الحديثة، د(ط). ص260.

(11) عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص137.

(12) عبد الرؤوف الفقي، المرجع السابق، ص260.

(13) ابن الخطيب، المصدر السابق، ص99.

(14) ابن القطان المراكشي، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق: محمود علي مكي، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، د(ط.ت). ص154.

(15) عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص25.

(16) المرجع نفسه، ص35.

(17) محمود مكي، المصدر السابق، ص173. نقلاً عن: عبد اللطيف دندش، المرجع نفسه، ص ص45.44.

(18) دندش، المرجع نفسه، ص276.

(19) المرجع نفسه، ص ص46.45.

(20) عن هذه الغزوة أنظر: ابن الخطيب، الحلل، مصدر سابق، ص67 .68./ ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج4، ص ص70.69.

(21) الفقي، المرجع السابق، ص ص162-161.

(22) عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص ص46.45.

(23) عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص122.

(24) المصدر نفسه، ص122.

(25) عصمت عبد اللطيف دندش، 1988، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، ط1، ص133.

(26) هو عبد الله بن تومرت السوسي الهرعي المصمودي، مؤسس دولة الموحدين، ويسمى بالبربرية أمغار، وبالعربية الشيخ، وكان رجلاً فقيرًا مشتغلاً بطلب

العلم وتحصيله، وارتحل إلى المشرق لطلب العلم حيث التقى بمشايخ العلم هناك وسمع منهم، وأخذ عنهم علماً كثيرا، حفظ الكثير من الأحاديث، ونبغ في علم الأصول والإعتقادات، ولازم الإمام أبو حامد الغزالي مدة ثلاثة سنوات لاقتباس العلم منه، ويقال أنه هو الذي تنبأ للمهدي بأنه سيكون له شأن عظيم في المغرب. أنظر: أبو بكر بن علي الصنهاجي، المعروف بالبيذق، 1971، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، الرباط، المغرب، دار منصور للطباعة، د(ط). ص11./ابن أبي زرع، أبو الحسن علي،1917، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تصحيح يوحنا تورنبرغ، طبعة أوبسالية، د(ط). ص ص110. 111.

(27) نقلاً عن: عبداللطيف دندش، المرجع السابق، دور المرابطين...، ص ص134.133.

(28) عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص127.

(29) زينب النفزاوية زوجة الأمير يوسف بن تاشفين التي وصفت بأنها حازمة لبيبة ذات رأي وعقل وجزالة و معرفةٌ بالأمور. أنظر: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص86. وهناك أيضاً زينب بنت إبراهيم بن تيفلويت زوج أبي الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين التي وصفت بأنها كانت من أهل الخير والنوافل والصالحة. أنظر: ابن الأبار، 1956م، التكملة لكتاب الصلة، نشر عزت العطار الحسيني، القاهرة، رقم2876. نقلاً عن: عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، الأندلس في نهاية المرابطين...، ص28.

(30) عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص127/ عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، الأندلس في نهاية المرابطين...، ص30.

(31) عبد اللطيف دندش، المرجع نفسه، الأندلس في نهاية المرابطين...، ص32.

(32) الربرتيرreverter: كان من قادة أمير برشلونة وأراغون ومن كبار رجال دولته، وقد وقع في أسر علي بن ميمون قائد الأسطول المرابطي، فأتى به إلى مراكش حيث اعتنق الإسلام، ودخل في خدمة المرابطين، ولازم الأمير علي بن يوسف بن تاشفين، فولاه قيادة الفرقة النصرانية، وقد قتل في إحدى المعارك بين المرابطين والموحدين في بلاد السوس، وقد أنجب ولداً أسماه علياً دخل فيما بعد خدمة الموحدين، إلى أن قتل في معركة بين جيش الموحدين وثوار بني غانية. أنظر: ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج4، ص103./ عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، الأندلس في نهاية المرابطين...،ص32.

(33) أبي العباس شمس الدين بن خلكان، 1984، وفيات الأعيان أنباء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، لبنان، دار صادر، د(ط).ج5، ص50.

(34) ابن الخطيب، المصدر السابق، ص ص62.61.

(35) حسين مؤنس، 2000، نصوص سياسية عن فترة الإنتقال من المرابطين إلى الموحدين، القاهرة، مصر، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، ص 113./عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، الأندلس في نهاية المرابطين ... ص33.

(36) ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج4، ص102.

(37)سالم أبو القاسم محمد غومة، (2004/2003م)، ماجستير، تطور المؤسسة العسكرية في دولتي المرابطين والموحدين من(451.668هـ /1059.1269م)، قسم العمل الإجتماعي، شعبة الحضارات المقارنة، جامعة الفاتح، ليبيا، ص ص11.31.

(38) محمود مكي، المرجع السابق، ص184. نقلاً عن: عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، الأندلس في نهاية المرابطين...، ص35.

(39) عبد اللطيف دندش، المرجع نفسه، ص35.

(40) المرجع نفسه، ص ص44.43.

(41) أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال، 1989، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، تحقيق: ابراهيم الأبياري، القاهرة، مصر، دار الكتاب المصري، بيروت، لبنان، دار الكتاب اللبناني، ط1، ج3، ص ص845.844./ ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج4، ص93.

(42) ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج4، ص93./ دندش، المرجع السابق، الأندلس في نهاية المرابطين...، ص ص65.64.

(43) الفقي، المرجع السابق، ص262.

(44) المرجع نفسه، ص263.

(45) القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص170/ الفقي، المرجع السابق، ص264.

(46) الفقي، المرجع نفسه، ص271.

(47) ابراهيم القادري بوتشيش، 1993، المغرب والأندلس في عصر المرابطين(المجتمع، الذهنيات، الأولياء)، بيروت، لبنان، دار الطليعة، ط1، ص171.

(48) الفقي، المرجع السابق، ص264.

(49) حسن علي حسن، 1980، الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب والأندلس(عصر المرابطين والموحدين)، القاهرة، مصر، مكتبة الخانجي، ط1، ص ص44.43.

(50) ابن الخطيب، المصدر السابق، ص12./ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص86.

(51) عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، دور المرابطين...، ص101.

(52) المرجع نفسه، ص135.

(53) الإدريسي الشريف، 1866، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، طبع بمدينة إيدن، مطبعة بريل، د(ط). ص6. / عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، دور المرابطين...،ص137.

(54) خميسي بولعراس، 2013-2014، ماجستير، فن الحرب بالغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين، كلية الأداب والعلوم الانسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، ص218.

(55) عصمت عبد اللطيف، المرجع السابق، الأندلس في نهاية المرابطين، ص38.

(56) ابن القطان المراكشي، 1990، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق: محمود علي مكي، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، ط1، ص ص71-72.

(57) عصمت عبد اللطيف، المرجع السابق، الأندلس في نهاية المرابطين، ص ص39-40.

(58) ابن الخطيب، المصدر السابق، ص ص97.96.

(59) الميلي المبارك، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، د(ط.ت)، ج2، ص228./حسن علي حسن، المرجع السابق، ص44.

(60) عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، الأندلس في نهاية المرابطين...، ص168.

(61) محمود مكي، المرجع السابق، ص171. نقلاً عن: عبد اللطيف دندش، السابق، الأندلس في نهاية المرابطين...ص168.

(62) ابن القطان، المصدر السابق، ص ص228..252. بتصرف.

(63) عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، الأندلس في نهاية المرابطين...، ص169.

(64) المرجع نفسه، ص171.

(65) عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص122.

(66) ابن الخطيب، المصدر السابق، ص70./ حسن ابراهيم حسن، 1966، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي، القاهرة، مصر، مكتبة النهضة المصرية، ط14، ج4، ص432.

(67) الفقي، المرجع السابق، ص260.

(68) عباس احسان، 1997، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، عمان، الأردن، دار الشروق، د(ط)، ص38./ عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، دور المرابطين في نشر الإسلام...، ص133.

(71) عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص122./عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، دور المرابطين...، ص ص133.132.

(70) القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص48.

(71) ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص125.

(72) القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص49 .

(73)حسن علي حسن، المرجع السابق، ص355./البيذق، المصدر السابق، ص ص92.91./ القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص49.

(74) أبو اسحاق بن خفاجة، 2006، ديوانه، تحقيق: عبد الله سنده، بيروت، لبنان، دار المعرفة، ط1، ص290./ القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص49.

(75) البيذق، المصدر السابق، ص64.

(76) القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص50.

(77) ابن القطان، المصدر السابق، ص130./ أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر المعروف بـ: ابن الأبار، المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي، ص33. كتاب إلكتروني من موقع مكتبة: www.al-mostafa.com

(78) البيذق، المصدر السابق، ص64.

(79) ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج2، ص42.

(80) المصدر نفسه، ج2، ص79./ القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص ص 51.52.

(81) عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، دور المرابطين...،ص131.

(82) عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص ص124.123.

(83) ابن الخطيب، المصدر السابق، ص61.

(84) ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص102.

(85) حمدي عبد المنعم، 1997، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، القاهرة، مصر، دار المعرفة الجامعية، د(ط)، ص344.

(86) الإدريسي الشريف، المصدر السابق، ص68.

(87) أحمد حسن محمود، قيام دولة المرابطين(صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى)، القاهرة، مصر، دار الفكر العربي، د(ط. ت)، ص442.

(88) أحمد بن محمد المقري التلمساني، 1988، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، لبنان، دار صادر، د(ط). ج3، ص232.

(89) سالم عبد العزيز، 1997، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، مصر، مؤسسة شباب الجامعة، ج2، ص110، د(ط)./ حمدي عبد المنعم ، المرجع السابق، ص341.

(90) ابن خلكان، المصدر السابق، ج5 ، ص50./أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، 1954، الإستقصا لدول المغرب الأقصى، تحقيق: ولدي المؤلف جعفر ومحمد الناصري، الدار البيضاء، المغرب، دار الكتاب، د(ط)، ص76.

(91) محمود مكي، المرجع السابق، ص189. نقلاً عن: القادري بوتشيش ، المرجع السابق، ص97.

(92)أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي، 1981، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق: جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي،الرباط، المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، الرباط، ط1، ج2، ص ص411.410.

(93) حسين مؤنس، المرجع السابق، ص113/ القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص97.

(94) الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص410./ القادري بوتشيش، المرجع نفسه، ص ص98.97.

(95) مجهول، طبقات المالكية(مخطوط)، الخزانة العامة للوثائق والمخطوطات، الرباط، رقم د3928، ص308. نقلاً عن: القادري بوتشيش، المرجع نفسه، ص98.

(96) ابن عبدون محمد بن أحمد التجيبي، 1955، رسالة في الحسبة، تحقيق: ليفي بروفنسال، القاهرة، مصر، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، د(ط)، ص49.

(97) أبي نصر الفتح بن محمد بن خاقان، 1983، مطمح الأنفس ومسرح الأنس في ملح أهل الأندلس، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، ط1، ص346.

(98) المصدر نفسه، ص369./ القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص99.

(99) محمد بن عياض، مذاهب الحكام في نوازل الأحكام (مخ). الخزانة الحسنية، رقم4042، ورقة158.نقلاً عن: القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص ص100.99.

(100) المقري، الصدر السابق، ج3، ص217.

(101) المصدر نفسه، ج1، ص159.

(102) المصدر نفسه، ج1، ص159.

(103) ابن المناصف، تنبيه الحكام(مخطوط)، ص21. نقلاً عن: القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص100.

(104) حسن محمود، المرجع السابق، ص442.

(105) ابن خفاجة، المصدر السابق، ص294./ حسن محمود، المرجع السابق، ص442.

(106) البيذق، المصدر السابق، ص ص24.23.

(107) رغم هذا التعصب فإن معظم المؤرخين قد تناقلوا هذه الرواية أنظر: لسان الدين بن الخطيب، 1964، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق: أحمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني، الدار البيضاء، المغرب، دار الكتاب، 1964، د(ط).ج3، ص267./ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص111.

(108) القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص ص101.100.

(109) ابن الحاج، النوازل، الخزانة العامة للوثائق والمخطوطات، الرباط، رقم ج55، ص87./ابن رشد، النوازل، الخزانة العامة للوثائق والمخطوطات، الرباط، رقم ك731، ص69. نقلاً عن: القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص101.

(110) ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص110.

(111) عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، الأندلس في نهاية المرابطين ...، ص45.

(112) المرجع نفسه، ص135.

(113) ابن عبدون التجيبي، 1955، ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق: ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، ط1، مج2، ص5/ احسان عباس، المرجع السابق، ص38.

(114) ابن عبدون، المصدر السابق، ثلاث رسائل أندلسية، مج2، ص16.

(115) إحسان عباس، المرجع السابق، ص31./ عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، دور المرابطين...،ص136.

كيفية الإستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA :

المؤلف الشيخ عدة، (2021)، انحلال عصبية المرابطين الدينية - العوامل والمظاهر- وأثرها في زوال دولتهم، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 13، العدد 01، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر، الصفحات. ص ص : 173-185